(عسى)
بين أحكامها النحويّة واستعمالها القرآنيّ

المدرس الدكتور
حسن عبيد المعموري
جامعة بابل ـ كلية الدراسات القرآنيّة

(عسى) بين أحكامها النحويّة واستعمالها القرآنيّ

المدرس الدكتور
حسن عبيد المعموري
جامعة بابل ـ كلية الدراسات القرآنيّة

مقدمة:

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، وأفضل الصلاة وأتم السلام على نبينا الأكرم وعلى آله الأطهار مصابيح الظُلَم وينابيع الحِكَم، وبعد:

لقيتْ (عسى) عند النحويين عناية واضحة في البحث والنظر، إذ إختلف النحويون في ماهيتها من حيث الفعلية والحرفية، وساق كل فريق أدلته في إثبات ما يراه من كونها فعلاً أو حرفاً، وحددوا لها - بناءًا على القول بفعليتها وهو الرأي الراجح - استعمالين في الكلام العربي وهما أن تستعمل تامة أو ناقصة.

وقد ارتأيت أن أنظر فيما ساقه النحويون لـ (عسى) من أحكام نحوية وفيما ورد منها في الاستعمال القرآني، فخصصت لذلك هذا البحث ووسمته استنادا إلى فكرته وغرضه بـ (("عسى" بين أحكامها النحوية واستعمالها القرآني)) لأقف وقفة المدقق على التراكيب التي تضمنت استعمال (عسى) محللاً ومناقشاً، كاشفًا عن السياقات التي جاءت فيها (عسى) تامة والتي جاءت فيها ناقصة متلمساً دلالة كلٍّ من هذين الاستعمالين في التعبير القرآني، ولذلك انتظم هذا البحث على ثلاثة مباحث هي:

المبحث الأول: أحكام (عسى) النحوية

المبحث الثاني: (عسى) الناقصة في الاستعمال القرآني

المبحث الثالث: (عسى) التامة في الاستعمال القرآني

وقد ختم البحث بما رشح عنه من نتائج، وبثْبتٍ بمصادره ومراجعه التي رفدته بمادته النحوية واللغوية والدلالية، وما توفيقي إلا بالله السميع المجيب، عليه توكلت وإليه أنيب.

المبحث الأول

أحكام (عسى) النحوية

وردت (عسى) في القرآن الكريم ثلاثين مرة[١]، وذكرت كتب النحو وبعض كتب التفسير أحكامها واستعمالاتها وما يتعلق بها، ولـ(عسى) استعمالان في القرآن الكريم، فهي أما أن تستعمل ناقصة أو تستعمل تامة.

وسنخصص لكل استعمال من استعماليها هذين مبحثاً مستقلاً، ويقتصر الحديث هنا في هذا المبحث على ما ورد من أحكام عسى ومسائلها في كتب النحو مما يخرج عما يعالجه المبحثان الثاني والثالث.

وأول مسألة تستوقفنا كون (عسى) حرفاً أم فعلاً؟

ويكاد النحاة يجمعون على أنّ (عسى) فعل وليس حرفاً، ولذلك نراهم يذكرونها ضمن موضوع أفعال المقاربة بعدّها فعلاً، ولذلك أيضا لم تذكرها أغلب الكتب المختصة بالحروف، فعلى سبيل المثال لم يذكرها الزجاجي (ت٣٤٠هـ) في كتابه (حروف المعاني) ولا المالقي (ت٧٠٢هـ) في كتابة (رصف المباني في حروف المعاني)[٢].

وينسب القول بحرفية (عسى) إلى ابن السراج وثعلب[٣]، وينسب أيضاً إلى الزجاج[٤]، واستدل النحاة على أن (عسى) فعل وليس حرفاً باتصال

الضمير بها على نحو اتصاله بالأفعال فتقول: عسيت وعسينا، ودخول تاء التأنيث عليها فنقول: عست هند أن تقوم، في حين لا تدخل في المذكر فنقول: عسى زيد أن يقوم[٥].

وذكر ابن هشام (ت٧٦١هـ) أن (عسى) فعل مطلقاً وليس حرفاً عندما تتصل بالضمير المنصوب كقوله: **يا أبتا علّكَ أو عساكا** خلافاً لسيبويه[٦]، والذي ذكره سيبويه في هذا الموضوع قوله: ((وأما قولهم: عساك فالكاف منصوبة قال الراجز وهو رؤبة: يا أبتا علك أو عساكا.

والدليل على أنّها منصوبة أنّك إذا عنيت نفسك كانت علامتك (ني) قال عمران بن حطان:

ولى نفسٌ أقولُ لها إذا ما ... تُنازعني لَعَلّى أو عَسانِى

ولو كانت الكاف مجرورة لقال: عساي، ولكنهم جعلوها بمنزلة (لعل) في هذا الموضع))[٧]. ويظهر من هذا النص أنّ سيبويه لم يصرح بحرفية (عسى) غير أنّ ذلك مفهوم من جعلها بمنزلة (لعل) في هذا الموضع، ويقصد أنها إذا اتصلت بالضمير المنصوب، فحرفيتها مقصورة على ذلك فحسب، فلو اتصلت بضمير المتكلم وهو ضمير رفع لقلت: عساني، فهي إذن فعل، ولا غرابة في جعل (عسى) بمنزلة (لعل) فكلاهما بمعنى واحد وهو الطمع أو الترجي[٨] والغريب أنّ ابن هشام لم يذكر توجيه اتصال (عسى) بضمير النصب مع القول بفعليتها، ولم يبيّن إعراب هذا الضمير، وإنما أطلق الحكم بكونها فعلاً مطلقاً فحسب، فسيبويه - وهو يستقري كلام العرب - وجد أنّ (عسى) يأتي بعدها ضمير نصب فلا مفرّ من حملها على الحرف الذي بمعناها وهو (لعل) وهذا مشابه لجعل النحاة (لعل) حرف جرّ عندما كشف الاستقراء أنّ من العرب من يجرّ بها في مثل: لعل أبي المغوار منك قريب. إذ لا مفرّ من جعلها حرف جرّ.

و(عسى) فعل جامد غير متصرف، يقول الخليل (ت ١٧٥ ه): ((وأهل النحو يقولون إنّه فعل ناقص، ونقصانه أنّك لا تقول منه: فَعَل يَفْعَل، وليس مثله، ألا ترى أنّك تقول: لست ولا تقول: لاس يليس، وعسى في الناس بمنزلة (لعل) وهي كلمة مَطْمَعَة، ويستعمل منه الماضي فيقال: عسيت وعسيا وعسين - لغة، وأميت ما سواه من وجهة الفعل ولا يقال: يفعل ولا فاعل ولا فعول))[٩] وذكر النحاة أسباباً لعدم تصرف (عسى) منها أنّها لما أشبهت (لعل) وهو لم يتصرف لأنّه حرف لم تتصرف هي أيضا، وقيل: لم يأت منها المستقبل أي المضارع لأنّها لا تكون إلا للطمع، والطمع لا يصح إلا في الاستقبال، ولذلك بني منها (فَعَل) فقط، لأنّ الماضي أخفّ من المستقبل، ولأنّ في المستقبل حرفاً زائداً على الماضي، فاختير الماضي لخفته واكتفي بـ(أن والفعل) للدلالة على الاستقبال، لأنّ (أن) من دلالات المستقبل[١٠].

وكرر ابن يعيش (ت٦٤٣هـ) هذه الأسباب غير أنّه نقل تضعيفاً لرأي من يقول: لم تتصرف (عسى) لمشابهتها (لعل) قال: ((وقد استضعف بعضهم هذه الوجهة من التعليل قال: وذلك أنّ شبه الحرف معنى مضعف للاسم لا للفعل ألا ترى أنّ أكثر الأسماء المبنية نحو: كم ومن، إنما كان بشبه الحروف، فأما الفعل فإنّه إذا أشبه بمعناه الحرف، فإنّه لا يمنع من التصرف؛ وذلك لأنّ معاني هذه الحروف مستفادة ومكتسبة من الأفعال ألا ترى أنّ (إلا) في الاستثناء نائبة عن (استثني) والهمزة في الاستفهام نائبة عن (أستفهم) وما النافية نائبة عن (أنفي) والشيء إنما يعطى حكماً بالشبه إذا أشبهه في معناه، وأما إذا أشبهه في معنى هو له أو يساويه فيه فلا، ولو جاز أن يمنع التصرف (عسى) لأنها في معنى (لعل) لجاز أن يمنع (أستثني) التصرف لمشاركته (إلا) ولجاز أن يمنع (أنفي) التصرف لمشاركة (ما) في معناها))[١١].

وهذا استدلال جميل، غير أنّه عقلي وليس لغوياً، إذ لا يصح مثلاً من

الناحية اللغوية أي: من الجانب الاستعمالي للغة، أن أضع (أستفهم) مكان الهمزة في جملة: أزيد حاضر؟ أو جملة: أحضر زيد؟ إذ لا يصح من حيث الاستعمال اللغوي أن أقول: استفهم زيد حاضر أو استفهم حضر زيد، أو أن أضع (أنفي) مكان (ما) في جملة: ما حضر عمرو أو ما عمرو حاضر، إذ لا يصح أن أقول: أنفي حضر عمرو أو أنفي عمرو حاضر وعلى أية حال، فردّ أن العلة في عدم تصرّف (عسى) هو شبهها بـ(لعل) لا يردّ الأسباب الأخرى التي ذكرناها لمنع التصرف. ومنها أنّه ((لما كانت (عسى) بمعنى (قرب)، و(قارب) استغنوا عن أن يبنوا منها مستقبلاً بقولهم: سيقرب وسيقارب كما استغنوا بـ(ترك) عن (وذر) لما كانت بمعناها))[١٢].

بقي أن نذكر من أحكام (عسى) أنّ للعرب فيها لغتين: الأولى: فتح السين نقول: عسَيت وعسَينا وعسَيتم[١٣]، والأخرى: كسر السين فيقال: عسِيت وعسِينا وعسِيتم وقد قرئ قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ (سورة محمد: ٢٢) باللغتين[١٤].

وذهب الدكتور مهدي المخزوميّ إلى أنّ (عسى) ليست من أفعال المقاربة وإنّما هي من أفعال الرجاء التي تدلّ على أنّ الفعل لم يحدث ولم يبدأ به بالرغم من توقعه، وأنّ النحاة خلطوا هذه الأفعال بالأفعال الدالّة على المقاربة والأفعال الدالّة على الشروع وجعلوها باباً واحداً هو أفعال المقاربة، وكان ينبغي أن تعزل هذه المجموعات بعضها عن بعض[١٥].

وقد صرح الرضي بأنّ (عسى) ليست من أفعال المقاربة إذ يقول: ((والذي أرى أنّ عسى ليس من أفعال المقاربة إذ هو طمع في حق غيره تعالى، وإنما يكون الطمع فيما ليس الطامع على وثوق من حصوله، فكيف يحكم بدنو الخبر (...) أي إن الطامع يطمع في دنو مضمون خبره، كقولك: عسى الله أن يشفي مريضي، أي إني أرجو قرب شفائه، وذلك لأن (عسى) ليس متعيّناً

بالوضع للطمع في دنو مضمون خبره، بل لطمع حصول مضمونه مطلقاً، سواء ترجى حصوله عن قريب أو بعد مدّة مديدة، تقول: عسى الله أن يدخلني الجنة، وعسى النبي عليه السلام أن يشفع لي، فإذا قلت: عسى زيد أن يخرج فهو بمعنى لعلّه يخرج، ولا دنو في لعل اتفاقاً)) [١٦]، وأحسب أنّ السياق هو الذي يحدد المعنى المستفاد من (عسى) وما تدخل عليه، أهو ترجي حصول الخبر مطلقاً، أم هو ترجي حصوله عن قريب؟ وسيتضح ذلك بالشواهد القرآنية في المبحث الثالث من هذا البحث إن شاء الله تعالى.

المبحث الثاني

(عسى) الناقصة في الاستعمال القرآنيّ

المراد من معنى النقص في (عسى) هنا أنّها تستعمل استعمال (كان وأخواتها) فهي تحتاج إلى الاسم والخبر، ويشترط في خبرها أن يكون فعلاً مضارعاً مسبوقاً بـ(أن) المصدرية [١٧] ومعنى ذلك أن يأتي بعد (عسى) اسم مرفوع وفعل مضارع مسبوق بـ(أن)، ويسمي النحاة (عسى) في هذه الحالة ناقصة مثل: عسى زيدٌ أن يقومَ.

والعلة في مجيء خبر (عسى) مكوناً من (أن والفعل المضارع) ((أنّ وقوع الفعل بعد (عسى) أظهر للمقصود؛ ولأنّ (عسى) إنّما وضع للطمع والمقاربة، والطمع في الاستقبال يوجد، فقلنا: إن خبره ينبغي أن يكون فعلاً مستقبلاً ليكون أقرب إلى المعنى، لأنّه لما غُيّر من المستقبل إلى الماضي احتاج إلى شيءٍ يعرف به، و(أن) معناه الاستقبال، فما وجدناه إلا أن يدخله (أن) لأنّ (أن) يدخل على الأفعال المستقبلة))[١٨] هذا هو الشائع المشهور في استعمال (عسى) وهو أن يكون خبرها مكوناً من (أن والفعل) غير أنّ النحاة ذكروا استعمالات أخرى، منها أن يكون خبرها اسماً كما في قول الزباء المشهور:

عسى الغوير أبؤساً، أو أن يرد خبرها غير مقترن بـ(أن) مثل قول الشاعر:

عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب[١٩]

أو أن يرد خبرها مقترناً بالسين مثل قول الشاعر:

عسى طيء من طيء بعد هذه ستطفئ غلات الكلى والجوانح

وذكروا لهذه الاستعمالات تخريجات وتفسيرات لا حاجة لنا في الإسهاب بذكرها[٢٠]، وقد وردت (عسى) ناقصة في القرآن الكريم في ستة عشر موضعاً، موضعان ورد فيهما اسم (عسى) ضميراً متصلاً[٢١]، والمواضع الأخرى ورد فيها اسمها ظاهراً، وهو اسم الإشارة (أولئك) في موضع واحد[٢٢]، وما تبقى كان فيها اسم (عسى) لفظ الجلالة أو كلمة (ربّ) مضافة مثل: ربّي، أو ربّكم، أو ربّنا، أو ربّه، وذلك في ثلاثة عشر موضعا[٢٣].

وذكروا أن معنى (عسى) هو الطمع (الترجي) والإشفاق[٢٤]. والفرق بينهما أنّ الترجي في المحبوبات والإشفاق في المكروهات، ثم ذكروا أنّ (عسى) من الله واجبة؛ لأنّ الترجي والإشفاق محالان في حقه تعالى[٢٥]. وقيل: لأنّ الخلق هم الذين يعرض لهم الشكوك والظنون، والباري عزّ وجل منزّه عن ذلك[٢٦]. وقد جعل الراغب الأصفهاني (ت٤٢٥هـ) هذا التعليل قصور نظر ممن يقول به، قال: ((عسى: طمع وترجي، وكثير من المفسرين فسروا (لعل)، و(عسى) في القرآن باللازم، وقالوا: إنّ الطمع والرجاء لا يصح من الله، وفي هذا منهم قصور نظر، وذلك أنّ الله تعالى إذا ذكر ذلك يذكره ليكون الإنسان منه راجياً لا لأن يكون هو تعالى يرجو، فقوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾ (الأعراف: ١٢٩) أي: كونوا راجين في ذلك)) [٢٧] وخرجه الطاهر ابن عاشور ذلك على المجاز، قال: ((وفعل (عسى) في قوله: ﴿فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾ (النساء: ٩٩) يقتضي أنّ الله يرجو أن يعفو عنهم، وإذا كان الله هو فاعل العفو وهو عالم بأنّه يعفو عنهم أو عن بعضهم بالتعيين تعيّن أن يكون

معنى الرجاء المستفاد من (عسى) هنا معنى مجازياً بأنّ عفوه عن ذنبهم عفو عزيز المنال، فمثل حال العفو عنهم بحال من لا يقطع بحصول العفو عنه))[٢٨].

والحقيقة أن الذي ينظر في المواضع التي وردت فيها (عسى) الناقصة التي اسمها لفظ الجلالة أو لفظة (ربّ) مضافة يجد أنّها ترد في خطابين اثنين لا ثالث لهما:

الأول: خطاب الله تعالى للإنسان، ومن ذلك قوله تعالى:

﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا﴾ سورة النساء: ٨٤

فالله تعالى يخاطب نبيه ﷺ في هذه الآية، و(عسى) فيها إطماع منه عز وجل [٢٩].

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ (سورة التحريم: ٨). يقول الزمخشري في معنى (عسى) في هذه الآية: ((﴿عَسَى رَبُّكُمْ﴾ إطماع منه لعباده، وفيه وجهان، أحدهما: أن يكون على ما جرت به عادة الجبابرة من الإجابة بـ(عسى) و(لعل) ووقوع ذلك منهم موقع القطع والبت، والثاني: أن يجيء به تعليماً للعباد وجوب الترجح بين الخوف والرجاء))[٣٠].

ويتضح مما سبق أنّ (عسى) إذا كانت في خطاب الله تعالى للإنسان حملت معنى (الإطماع) إطماع الله عز وجل للمخاطب في تحقيق خبر (عسى). والخطاب الآخر الذي وردت فيه (عسى) هو خطاب الإنسان لله تعالى، ومن ذلك مثلا قوله عز ذكره: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ

جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (سورة يوسف: ٨٣)، فالآية خطاب من النبي يعقوب لله تعالى وهو يرجو منه سبحانه أن يأتيه بابنيه يوسف وبنيامين جميعاً، فـ(عسى) هنا تحمل معنى الطمع والرجاء، أي: طمع الإنسان ورجاؤه من الله تعالى في تحقيق خبر (عسى).

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ * عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ (سورة القلم: ٣٠، ٣١، ٣٢) فالآية خطاب من أصحاب البستان المحترقة لله تعالى، وهم يرجون الله عزّ وجل ويطمعون بأن يبدلهم خيراً من بستانهم التي احترقت، فـ(عسى) تحمل معنى طمع العبد ورجائه لله سبحانه وتعالى. واعتقد أنّ ملاحظة ما وردت فيه (عسى) من سياقات يحل إشكالية كون (عسى) من الله واجبة أو غير واجبة. والذي دفع النحاة والمفسرين - فيما أحسب - إلى القول بأن (عسى) من الله واجبة هو الالتزام بالصنعة النحوية التي تقضي بأنّ لفظ الجلالة يقع اسماً لـ(عسى)، فخيّل إليهم أنّ الله عز وجل هو الراجي أو الطامع، كما تقول: كان الله سميعاً بصيراً فالله تعالى هو السامع وهو البصير، ولا ينكر أن يعرب لفظ الجلالة - وما مثله كلمة ربّنا أو ربّكم وما شابه - اسماً لـ(عسى) لأنّ (عسى) وجميع أفعال المقاربة محمولة من حيث العمل على (كان وأخواتها) ولكن تحديد المعنى الذي تفيده (عسى) - ولاسيما في القرآن الكريم لخصوصيته - لابد من أن يراعي فيه السياق الذي ترد فيه.

ونختم هذا البحث ببيان أنّ خبر (عسى) الناقصة ورد منفيا مرة واحدة، وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾ (سورة البقرة: ٢٤٦)، فيكون المعنى هنا الطمع في عدم حصول الخبر وليس في حصوله كما لو جاء الخبر مثبتاً.

المبحث الثالث

(عسى) التامة في الاستعمال القرآنيّ

الاستعمال الثاني الذي ترد فيه (عسى) ((أن تكتفي المرفوع من غير افتقار إلى منصوب، وتكون (عسى) بمعنى (قرب) إلا أنّ مرفوعها لا يكون إلا (أن والفعل) نحو قوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ فـ(أن تكرهوا) بموضع رفع بأنّه فاعل، ووقعت الكفاية به لتضمنه معنى الحدث الذي كان في الخبر))[٣١]، ويشترط في استعمالها تامة أن تسند إلى (أن) المصدرية والفعل وأن لا يلي هذا الفعل اسم ظاهر يصح رفعه به، ويشترط أيضاً خلوها من الضمير، وذلك نحو: عسى أن يرجع، أي: عسى رجوعه، فإذا انتقض أحد الشرطين في مثل: عسى أن يرجع زيدٌ، جاز أن تعرب تامة، و(زيد) فاعل لـ(يرجع)، والمصدر المؤول فاعل لـ(عسى)، وهي هنا تامة، وجاز أن يكون (زيد) اسمها المؤخر والمصدر خبرها المقدم، ويكون فاعل (يرجع) ضميراً يعود على (زيد) وذلك جائز لتقدمه رتبة، و(عسى) حينئذ ناقصة[٣٢].

وإذا تقدم الاسم الظاهر على (عسى) في نحو: محمد عسى أن يقوم احتملت الجملة أمرين، أحدهما: أن يجعل في (عسى) ضمير يكون اسمها، ويكون المصدرُ المؤول من (أن والفعل) في محل نصبٍ خبرَها. فـ(عسى) حينئذ ناقصة، والأمر الآخر: أن يكون في محل رفع فاعل لـ(عسى)، وتكون حينئذ تامة[٣٣]. وقد وردت عسى في القرآن الكريم تامة في أربعة عشر موضعاً[٣٤]. وهي لا تحتمل سوى كونها تامة، لأنها لم يتقدمها اسم ظاهر ولا يلي الفعل المضارع بعدها اسم ظاهر أيضا، وقد تقدم في المبحث الأول أن معنى (عسى) الترجي في المحبوبات والإشفاق في المكروهات، ومما ورد من معنى الترجي في (عسى) قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ

وَلَدًا﴾ (سورة يوسف: ٢١) وقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ (سورة القصص: ٩) فاتخاذ كلّ من يوسف وموسى (عليهما السلام) ولداً والانتفاع به أمر محبوب لكل من عزيز مصر وامرأة فرعون، فـ(عسى) هنا للترجي.

ومما ورد من معنى الإشفاق فيها قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (سورة البقرة: ٢١٦). قال أبو حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ): ((عسى هنا للإشفاق لا للترجي، ومجيئها للإشفاق قليل، وهي هنا تامة لا تحتاج إلى خبر))[٣٥].

وقد وردت (عسى) التامة في القرآن الكريم في خطابين أيضاً:

الأول: خطاب الله تعالى للإنسان، ومن ذلك قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ﴾ (سورة الحجرات: ١١)، فـ(عسى) - فيما يبدو - تدلّ على التوقع أو الاحتمال يقول الزمخشري في الآية: ((والمعنى وجوب أن يعتقد كلّ أحد أن المسخور منه ربما كان عند الله خيراً من الساخر، لأن الناس لا يطلعون إلا على ظواهر الأحوال ولا علم لهم بالخفيات))[٣٦]. ويستفاد معنى التوقع أو الاحتمال من قوله (ربما)، وقد ذكر الرضي أن (عسى) تفيد معنى التوقع ((لأن (عسى) بمعنى (يتوقع)))[٣٧].

الثاني: خطاب الإنسان للإنسان، كما تقدم من خطاب عزيز مصر لامرأته، وفي خطاب امرأة فرعون لزوجها، وتحمل (عسى) في ذلك معنى (الرجاء) أي: نرجو أن ينفعنا أو نتخذه ولداً. ومن ذلك أيضاً قوله تعالى:

﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ مريم: ٤٨، فالخطاب موجه من إبراهيم عليه السلام إلى قومه، و(عسى) تحمل معنى (الرجاء) والله أعلم، غير أنّه رجاء عدم تحقق كونه شقياً بدعاء ربّه، لأنّ الفعل مسبوق بنفي وهذا هو الموضع الوحيد الذي يرد فيه الفعل منفياً مع (عسى) التامة.

بقي أن نذكر ما أشرنا إليه في المبحث الأول، وهو أنّ معنى (عسى) ترجي حصول الخبر مطلقاً أم ترجي حصوله عن قريب؟ وذكرنا هناك أنّ السياق هو الذي يحدد دلالة (عسى)، وجاء موضع إثبات ذلك هنا بالشواهد القرآنية.

ذكر الرضي أنّ القائل إذا قال: عسى الله أن يشفي مريضي، فلا يصح أن يكون يطمع بدنو مضمون خبر (عسى)، أي: يطمع بقرب شفائه، والصحيح أن يكون يطمع بتحقيق مضمون الخبر مطلقاً سواء ترجى حصوله عن قريب أم بعد مدة مديدة، وذلك لأنّ الطمع إنما يكون فيما ليس الطامع على وثوق من حصوله، فكيف يحكم بدنو ما لا يوثق بحصوله؟[٣٨].

ولا أدري كيف يكون الطامع بحصول شيء حاكماً بدنوه؟!! وغالباً ما يطمع الطامع بحصول أمرٍ ما وهو يرغب في حصوله بأسرع وقت، ولكنّه لا يحكم بدنوّه، وإنّما يرجو دنوّه فحسب، وفرق بين المعنيين. وأعتقد أنّ (عسى) وحدها لا تبيّن كون الطامع يرغب بحصول ما يطمع به قريباً أو حصوله مطلقاً، وإنّما يتضح ذلك من السياق الذي ترد فيه، ففي قوله تعالى: ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ (سورة الإسراء: ٥١) لو كانت (عسى) وحدها دالة على الحصول قريباً لكان هذا المعنى مستفاداً من قوله (عسى أن يكون) فقط من دون الحاجة إلى كلمة (قريبا). وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ (الأعراف: ١٨٥). فـ(عسى) في الآيتين لا تدل على الطمع في قرب

حصول المرجو وإنما يفهم من السياق الذي وردت فيه (عسى) وذلك من كلمة (قريباً) في الآية الأولى، وكلمة (اقترب) في الآية الثانية. والله تعالى أعلى وأعلم.

الخاتمة:ـ

بعد أن استوى هذا البحث على سوقه، وبلغ النظر فيه غايته ومنتهاه يطيب لي أن أسجل في خاتمة المطاف أهم ما رشح عنه من نتائج، ومنها:

- وردت (عسى) في القرآن الكريم ثلاثين مرة، وكان لها فيه استعمالان، فهي إما أن ترد ناقصة تعامل معاملة كان وأخواتها، أو أن ترد تامة، ويكون فاعلها مكونا من (أن) والفعل المضارع.
- أثبت البحث أن السياق الذي ترد فيه (عسى) كفيل ببيان كون (عسى) تفيد ترجي حصول الخبر مطلقاً، أو ترجي حصوله عن قريب، وساق الشواهد القرآنية لإيضاح ذلك.
- اظهر البحث أن (عسى) الناقصة التي اسمها لفظ الجلالة أو ما يدل عليه وهي لفظة (ربّ) مضافة قد وردت في خطابين في القرآن الكريم هما: خطاب الله تعالى للإنسان وخطاب الإنسان لله عز وجل. وتبعاً لذلك يكون معنى (عسى) في الخطاب الأول إطماع الله تعالى للمخاطب في تحقيق مضمون خبرها، وفي الخطاب الثاني يكون معناها طمعَ الإنسان ورجاءه من الله تعالى في تحقيق خبرها، وهذا يحل إشكالية كون (عسى) من الله واجبة أو غير واجبة.
- وردت (عسى) التامة في خطابين أيضاً، الأول: خطاب الله تعالى للإنسان وتدلّ فيه (عسى) على معنى التوقع أو الاحتمال. والخطاب الآخر: خطاب الإنسان للإنسان وتفيد فيه (عسى) معنى الرجاء.

- ذكر النحاة استعمالين لـ(عسى) مثل أن يتقدمها اسم ظاهر، أو يأتي بعد الفعل المضارع معها اسم ظاهر، أو أن يتصل بها ضمير نصب. ولكل من هذه الاستعمالات توجيهه، غير أنّه لم يرد في القرآن الكريم واحد من هذه الاستعمالات.

هوامش البحث

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ٤٦١ - ٤٦٢، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، مصر، ١٩٨٨م.

(٢) ينظر كتابة حروف المعاني، أبو القاسم الزجاجي، تحقيق: د. علي توفيق الحمد، دار الأمل، بيروت، ط، ١٩٨٤م، ورصف المباني في حروف المعاني، أحمد بن عبد النور المالقي، تحقيق: أحمد الخراط، مطبعة زيد بن ثابت، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٧٥م.

(٣) ينظر: التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل: ٣٢٧/٤، أبو حيان الأندلسي، تحقيق: د. حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط /١، ٢٠٠٠م.

(٤) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٢١٤/٤، رضي الدين الاسترابادي، تحقيق: يوسف حسن عمر، جامعة قاريونس، ١٩٧٨م.

(٥) ينظر: البسيط في شرح الكافية: ٤٦٨/٢، ركن الدين الاسترابادي (ت٧١٥هـ) تحقيق: د. حازم سليمان الحلي، المكتبة الأدبية المختصة، ط /١، ١٤٢٧هـ.

(٦) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ٢٠١/١، ابن هشام الأنصاري، تحقيق: د. مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، راجعة: سعيد الأفغاني، مؤسسة الصادق، إيران، ط ١، (د. ت).

(٧) كتاب سيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، أبو بشر سيبويه: ٣٧٤/٢ - ٣٧٥، دار الجيل، ط١ (د. ت).

(٨) ينظر: شرح اللمع في النحو: ٣١٥، جامع العلوم: الباقولي، تحقيق: د. محمد خليل مراد الحربي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط /١، ٢٠٠٧م.

(٩) كتاب العين: ٢٠٠/٢ -٢٠١، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، مطابع الرسالة، الكويت، ١٩٨٠م.

(١٠) ينظر: شرح اللمع في النحو: ٣١٥، والبسيط في شرح الكافية: ٤٧٠/٢.

(١١) شرح المفصل: ٣٩١/٣، ابن يعيش النحوي، تحقيق: أحمد السيد، سيد أحمد وإسماعيل عبد الجواد عبد الغني، المكتبة التوفيقية، مصر.

(١٢) التذييل والتكميل: ٣٣٣/٤.

(١٣) ينظر: المقرب: ١١٠، ابن عصفور الاشبيلي (ت٦٦٩هـ) تحقيق: أحمد عبد الستار الجواري، ود. عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧١م.

(١٤) ينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، ٣٠٣/١، مكي بن طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ)، تحقيق د. محيي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٧٤م.

(١٥) ينظر: في النحو العربي - نقد وتوجيه: ٢٠٠، د. مهدي المخزومي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٥ م.

(١٦) شرح الرضي على الكافية: ٢١١/٤.

(١٧) ينظر: شرح المفصل: ٣٩١/٣ - ٣٩٢، والبسيط في شرح الكافية: ٤٧١.

(١٨) شرح اللمع في النحو: ٣١٦.

(١٩) ينظر: كتاب سيبويه: ١٥٩/٣، شرح الرضي على الكافية: ٢١٥/٤.

(٢٠) ينظر: شرح المفصل: ٣٩٣/٣، وشرح ابن عقيل: ٢٦٠/١ - ٢٦١، القاضي ابن عقيل، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، بيروت، ٢٠٠٤م، وشرح الرضي على الكافية: ٢١٥/٤ - ٢١٦، والبسيط في شرح الكافية: ٤٧١/٢.

(٢١) الموضعان هما: (سورة البقرة: ٢٤٦)، (سورة محمد: ٢٢).

(٢٢) الموضع هو: (سورة التوبة: ١٨).

(٢٣) المواضع هي: (النساء: ٨٤)، (النساء: ٩٩)، (المائدة: ٥٢)، (الأعراف: ١٢٩)، (التوبة: ١٠٢)، (يوسف: ٨٣)، (الإسراء: ٨)، (الكهف: ٤٠)، (القصص: ٢٢)، (الممتحنة: ٧)، (التحريم: ٥)، (التحريم: ٨)، (القلم: ٣٢).

(٢٤) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٢١٤/٤.

(٢٥) ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ٧٨٥/١، السمين الحلبي، تحقيق: الشيخ عادل عبد المجيد وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م.

(٢٦) ينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن: ٦٢٥/٢، جلال الدين السيوطي، مطبعة طليعة النور، إيران، ط٢، ١٤٢٧هـ.

(٢٧) مفردات ألفاظ القرآن: ٥٦٦ - ٥٦٧، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ط /١، ١٤٢٦هـ.

(٢٨) التحرير والتنوير: ٢٣٤/٤، الطاهر ابن عاشور، مؤسسة التاريخ، بيروت، ط/١، ٢٠٠٠ م.

(٢٩) ينظر: إعراب القرآن: ٢٥٦، أبو جعفر النحاس، تحقيق: د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، ط/١، ٢٠٠٥م.

(٣٠) الكشاف: ١١٢٢، جار الله الزمخشري، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعارف، بيروت، ط/١، ٢٠٠٢.

(٣١) شرح المفصل: ٣٩٣/٣، والآية من (سورة البقرة: ٢١٦)، وينظر: شرح ابن عقيل: ٢٧٠/١.

(٣٢) ينظر: المعجم الوافي في النحو العربي: ٢٠١، د. علي توفيق الحمد، ويوسف جميل الزعبي، دار الجيل، بيروت، (د/ ت).

(٣٣) ينظر: شرح اللمع في النحو: ٣١٧، البسيط في شرح الكافي: ٤٧٤/٣ مغني اللبيب: ٢٠٤/١.

(٣٤) المواضع هي: (البقرة: ٢١٦). (البقرة: ٢١٦)، (النساء: ١٩)، (الأعراف: ١٨٥)، (يوسف: ٣١)، (الإسراء: ٧٩)، (الكهف: ٢٤)، (مريم: ٤٨)، (النمل: ٧٣)، (القصص: ٩)، (الحجرات: ١١)، (الحجرات: ١١)

(٣٥) البحر المحيط: ٣٤١/٢، أبو حيان الأندلسي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، شارك في تحقيقه: د. زكريا عبد المجيد النوتي، و د. أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.

(٣٦) الكشاف: ١٠٣٨، ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٩٧/٢، ابن جزي الغرناطي، تحقيق: د. عبد الله الخالدي، دار الأرقم، بيروت، (د.ت).

(٣٧) شرح الرضي على الكافية: ٢١٦/٤.

(٣٨) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٢١١/٤، وينظر صفحة: ٦ من هذا البحث.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١- إعراب القرآن، أبو جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ) تحقيق: د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.

٢- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ) دراسة وتحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، شارك في تحقيقه: الدكتور زكريا عبد المجيد النوتي، والدكتور أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.

٣- البسيط في شرح الكافية، ركن الدين الاستراباذي (ت٧١٥هـ) تحقيق: د. حازم سليمان الحلي، المكتبة الأدبية المختصة، إيران، ط١، ١٤٢٧هـ.

٤- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ) مؤسسة التاريخ، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

٥- التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، أبو حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ) تحقيق: د. حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط١، ٢٠٠٠م.

٦- التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الغرناطي (ت٧٤١هـ) تحقيق: د. عبد الله الخالدي، دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٥م.

٧- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي (ت٧٥٦هـ) تحقيق: الشيخ عادل عبد المجيد وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.

٨- رصف المباني في حروف المعاني، أحمد بن عبد النور المالقي (ت٧٠٢هـ) تحقيق: أحمد الخراط، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، ١٩٧٥م.

٩- شرح ابن عقيل، القاضي ابن عقيل (ت٧٦٩هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، بيروت، ٢٠٠٤م.

١٠- شرح الرضي على الكافية، رضي الدين الاستراباذي (ت٦٨٦هـ) تحقيق: يوسف حسن عمر، جامعة قاريونس، ١٩٧٨م.

١١- شرح اللمع في النحو، جامع العلوم الباقولي (ت٥٤٣هـ) تحقيق: د. محمد خليل مراد الحربي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٧م.

١٢- شرح المفصل، ابن يعيش النحوي (ت٦٤٣هـ)، تحقيق: أحمد السيد سيد أحمد، وإسماعيل عبد الجواد عبد الغني، المكتبة التوفيقية، مصر، (د.ت).

١٣- في النحو العربي نقد وتوجيه، د. مهدي المخزومي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٥م.

١٤- كتاب حروف المعاني، أبو القاسم الزجاجي (ت٣٤٠هـ) تحقيق: د. علي توفيق الحمد، دار الأمل، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.

١٥- كتاب سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان سيبويه (ت١٨٠هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، (د.ت).

١٦- كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ) تحقيق: د. مهدي المخزومي، و د. إبراهيم السامرائي، مطابع الرسالة، الكويت، ١٩٨٠م.

١٧- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله الزمخشري (ت٥٣٨هـ) تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.

١٨- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ) تحقيق: محيي الدين رمضان، منشورات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٧٤م.

١٩- معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي، (ت٩١١هـ)، مطبعة طليعة النور، إيران، ط ٢، ١٤٢٧هـ.

٢٠- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وضعه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، مصر، ١٩٨٨م.

٢١- المعجم الوافي في النحو العربي، د. علي توفيق الحمد، ويوسف جميل الزعبي، دار الجيل، بيروت، (د.ت).

٢٢- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ) تحقيق: د. مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، راجعه: سعيد الأفغاني، مؤسسة الصادق للطباعة، والنشر والتوزيع، إيران، ط١، (د.ت).

٢٣- مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني (ت٤٢٥هـ) تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ.

٢٤- المقرّب، ابن عصفور الأشبيلي (ت٦٦٩هـ) تحقيق: د. أحمد عبد الستار الجواري، و د. عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ط١، ١٩٧١م.